الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: نقد حديث ومعاصر

المـــــوضـــوع:

الأنساق المضمرة في رواية عطش البحر لرجب عطا الطيب أبو سرية

إعداد الطالبتين:

ديش نبيلة

حاج عبد القادر راضية

إشراف:

د. دكار أحمد

لجنة المناقشة		
أ.الدكتور	بن عزة عبد القادر	رئيسا
أ.الدكتور	قدوسي نور الدين	ممتحنا
أ.الدكتور	دكار أحمد	مشرفا مقررا

العام الجامعي:1445هـ -1446هـ / 2023 م - 2024 م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى من سقتني من روحها وغمرتني بعطفها

إلى من تمنحني الأمل دائما... **أمي الحبيبة**

إلى رمز التقدير والاحترام، إلى الذي أحب العلم

فضحى بكل ما يملك في سبيل تعليم أبنائه... **أبي الغالي**

إلى سندي ومصدر قوتي وعضدي

زوجي الغالي عبد الحفيظ

إلى فلذات كبدي وقرّة عيني

أبنائي محمد نضال، أكرم، رميساء.

إلى كل الإخوة والأهل والأحباب.

إلى كل من بث في روح العمل وشجعني ولو بكلمة طيبة.

إلى كل من عرف راضية من قريب أو بعيد فذكرها بخير.

أضع بين أيادي كل هؤلاء ثمرة جهدي المتواضع هذا.

راضية

إهداء

بكل حبّ أهدي ثمرة نجاحي وتخرّجي:

إلى روح أبي الطاهرة، إلى الذي زيّن اسمي بأجمل الألقاب، إلى من علمني أن الدنيا كفاح وسلاحها العلم والمعرفة والنجاح ..... **أبي الغالي رحمه الله**

إلى روح أمي الطاهرة، إلى من جعل الله الجنّة تحت أقدامها، وكانت لي شمعة في الليالي المظلمات، سرّ قوتي ونجاحي وجنّتي ..... **أمي الحبيبة**

إلى من ساندني بكل حبّ ومودّة ..... **زوجي الغالي محمد**

إلى من ساندوني عند ضعفي وأزاحوا عنّي متاعب الطريق ..... **إخوتي عبد القادر، الجيلالي، محمد، الصدّيق، أحمد، عبد الغنيّ و أبنائهم.**

إلى من عرفت منهما طعم الحياة الجميلة ..... **أختاي حياة، أمينة و أبنائهما**

إلى قوتي وسندي في هذه الحياة

أبنائي: مرام، وصال، عبد المنعم، روان.

محبتكم: نبيلة

مقدمة

مقدمة:

الرواية هي أحد أهم الفنون الأدبيّة النثريّة الحديثةوأكثرهاتمثيلاللواقع؛ فهي ذلك النسيج المترابط لمجموعة من العناصر التي تتفاعل فيما بينها لتجسّد أحداثا تسردها وفق مسار مدروس تلفّه الإثارة والتشويق، سردا يجذب اهتمام الجمهور ويحظى بانتشار واسع بين مختلف القرّاء لوجود ذائقة كبرى في التلقّي العربي لها بدءا من الروايات الأجنبية المترجمة إلى الروايات العربيّة المؤلفة، روايات صوّر أصحابها حالة المجتمع العربيّ تصويرا دقيقا خاصّة ما تعلق منها بعلاقة الشعوب العربيّة بالاستعمار.

وما رواية "عطش البحر" إلاّ واحدة من هذه الروايات التي تحدّث فيها المؤلّف الفلسطيني رجب عطا الطيّب أبو سريّة عن الانتفاضة الأولى سنة 1987، مبرزا حجم معاناة الشعب الفلسطيني جرّاء الاحتلال، والتي اخترناها محاولين سبر أغوارها، واتّباع النظرة العميقة في فهمها نظرة النقد الثقافيّ الذي يربط النصّ بمحيطه، وسياقه الثقافي، غير المعلن ويهتمّ بالبحث عن الأنماط المضمرة التي تختبئ تحت عباءة الجمال، فتعكس سياقات ثقافية وسياسيّة تؤثّر في المبدع والنصّ الروائي.

ومن هنا جاءت أهميّته التي تأتّى بها مسوغ اختيارنا لموضوع هذا البحث الموسوم ب "الأنساق المضمرة في رواية عطش البحر".

لعلّ الأسباب في اختيارنا لهذا الموضوع ذاتيّة وموضوعية، أمّا الذاتية منها فهو إحساسنا بمعاناة الشعب الفلسطيني ومساندتنا له، ومحاولة منّا لإرضاء فضولنا بالكشف عن الأنساق المضمرة داخل الرواية.

وأمّا الموضوعيّة فهي محاولة النّقد الثقافيّ تحرير النصّ الروائي من انغلاق البنيويّة.

ولقد كان من المناسب لهذا البحث الاستعانة بمنهج "النقد الثقافي" كونه الأنسب لمثل هذه الدّراسات الثقافية.

وتأسيسا على ما سبق تبلورت إشكاليّة البحث الأساسية والمتمثّلة في السّؤال الآتي: ما هي أهمّ الأنساق المضمرة في رواية "عطش البحر" وإلى أيّ مدى نجحت هذه الأنساق في فكّ ألغاز النصّ؟، وتندرج تحت هذه الإشكالية تساؤلات فرعيّة هي:

- ما مفهوم الدّراسات الثقافية؟
- ما مفهوم النقد الثقافيّ وما هي أهمّ مرتكزاته؟
- ما الأنساق المضمرة للسياسة والمقاومة وما الأبعاد الاجتماعيّة التي احتوتها رواية "عطش البحر".

واستنادا لطبيعة الموضوع ارتأينا عرضه كالآتي:

المدخل فخصصّناه للجهاز المفاهيميّ للبحث متناولين: مفهوم النقد الثقافي ومرتكزاته مفهوم الأنساق المضمرة، تعريف النسق لغة واصطلاحا، تعريف المضمر والنّسق المضمر، مفهوم الدراسات الثقافيّة، وكذا التمييز بينها وبين النقد الثقافيّ.

الفصل الأول وخصّصناه للأنساق السيّاسيّة في رواية "عطش البحر" بثلاثةعناوين جزئية: رمزيّة العنوان،والنسق التاريخيّ، ونسق المقاومة والانتفاضة.

الفصل الثاني خصصّناه للأنساق الاجتماعيّة وأبعادها بأربعة عناوين جزئية:

1- النسق الاجتماعي

2- نسق الحرمان الأبوي

3- نسق القرية والقيم الاجتماعية.

4- نسق الأنوثة

أمّا الدّراسات السابقة التي حصلنا عليها في البحث، نذكر دراسة "البنية الروائية عند بعض الروائيين في غزة " للدكتور محمد أيّوب، وكتاب "قراءات نقدية في أدب أبي سرية" للدكتور عاطف أبو سيف. ولكن هذه الدّراسات اعتمدَت على المنهج البنيوي الشكلانيّ أمّا دراستنا فتجاوزت ذلك إلى قراءة الأنساق المضمرة في هذه الرواية.

استندنا في دراستنا إلى جملة من المصادر والمراجع أهمّها المصدر الرّئيسيّ وهو الرّواية الأمّ "عطش البحر" لرجب عطا الطيّب أبو سريّة وكتاب "النّقد الثقافيّ" قراءة في الأنساق الثقافيّة العربيّة لعبد الله

الغذّامي"، كتاب "دليل الناقد الأدبي" لميجان رويلي وسعد البازعي، كتاب دليل مصطلحات الدّراسات الثقافيّة والنقد الثقافي لسمير خليل.

الصعوبات التي اعترضت طريق البحث، صعوبات لا يخلو منها بحث علميّ جادّلكن الباحث الكفء هو من لا يعدم الوسيلة؛ فيتحدّى الصّعاب ويخرج بحثه إلى هدفه المنشود، ومع هذا فأبرز الصعوبات تمثّلت في عدم حصولنا على النسخة الأصليّة للرواية ممّا دفعنا إلى الاتّصال الشخصيّ بالمؤلف الدكتور رجب عطا الطيّب أبو سريّة، الذي أكّد لنا عدم وجودها. ومن بين الصعوبات أيضا قلّة المصادر والمراجع في المكتبات، مع قلّة الدّراسات التطبيقية في هذا المجال لحداثته، وما عدا ذلك فهي صعوبات مذلّلة بالاجتهاد واستشارة الأستاذ المشرف "الدكتور دكار أحمد" الذي رافقنا في بحثنا، ولم يبخل علينا بنصائحه، والذي نشكره جزيل الشكر.

وأخيرا نأمل أن نكون قد ساهمنا ولو الشيء القليل في هذا المجال، كما نرجو أن يكون بحثنا هذا من بين المحطّات المهمّة في مجال النقد، ولا يفوتنا أن نجدّد شكرنا للناقد والروائيّ الفلسطينيّ الكبير الدكتور "رجب عطا الطيّب" على تواضعه ورحابة صدره،ولأستاذنا المشرف الدكتور دكار أحمد الذي رافقنا طيلة إعداد هذه المذكرة كما لا يفوتنا شكر الأستاذ مصطفاويجلال بجامعة عين تموشنت، والشكر موصول أيضا للجنة الموقرة على التوجيهات والملاحظات المقدمة، والله من وراء القصد.

تلمسان في :07 / ماي/ 2024

المدخل

مفهوم الدّراسات الثقافية والنقد الثقافي

1- مفهوم الدراسات الثقافية:

الدراسات الثقافية بالرغم من كونها رؤية جديدة، إلا أنّها انبثقت عن الدّراسات الأدبية خاصة في بداياتها في بريطانيا، حيث نشر مركز الدّراسات الثقافية المعاصرة في جامعة برمنجهام سنة 1971، صحيفة أوراق عمل في الدّراسات الثقافية، التي تناولت الثقافة الشعبية والمسائل الإيديولوجية، والأدب والمسائل المتعلقة بالجنوسة وموضوعات أخرى" ولكن لسوء الحظّ أنّ هذه الصحيفة لم تستمر طويلاً، ومع ذلك فقد أثّرت تأثيراكبيرا"[1].

وقد عرفت الدّراسات الثقافية بداية التسعينيات اهتماما كبيرا "شأنها شأن غيرها من قضايا الفكر والمعرفة، ولعلّ من سماتها عبر التخصّصات وطغيان الصبغة التنظيريّة عليها، وتنشيطها في حقول وثقافات متفرّقة "[2].

تسعى الدراسات الثقافية لفهم الثقافة بكل أشكالها، وفهم الظواهر الاجتماعية والسياسية والإنسانية لتقديم رؤية معرفية جديدة لقراءة الخطابات؛ فهي لا تهتم ببنية النص وشكله الجمالي والبلاغي؛ بل تتعدى ذلك إلى نقد المضمون سواء الظاهر أو المضمر.

إنّ الخصائص التي تتميّز بها الدراسات الثقافية عن غيرها أكسبتها الأهميّةالتالية:

- اختيار الثقافة مجالا للدراسة، لتوسيع نطاقها وتحقيق الشموليةوكذا توسيع نطاق المعرفة.

1-آرثر ايزابرجر، النقد الثقافي، تر وفاء إبراهيم ورمضان بسطا ويسي، ط 1، 2003، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،ص 31.

2- ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ط 3،2002،المركز الثقافي العربي، المغرب، ص 139.

فهي تسعى لطرح أسئلة جوهريّة تتمحور حول شتّى مناحي الحياة، وكذا طرق إنتاج المعرفة وتفسيرها،فهي متميّزة من حيث المبادئ والإجراءات ولكن رغم هذا التميّز لا يخلو منهج مهما بلغ من الدقّة من بعض المزالق وهو أمر منهجيّ عاديّ. رغم ذلك ساهمت في ظهور العديد من الخطابات الهامشية المضادة للخطاب المركزي، من بين هذه الخطابات النقد الثقافي.

2- مفهوم النقد الثقافي:

يقول الغذّامي: "هل في الأدب شيء آخر غير الأدبيّة؟ لقد شغلت أدبيّة الأدب حيّزا عريضا في البحث النقديّ على مدى قرون وماتزال تفعل، غير أن جهودا خارقة قد جاءت لتكشف أشياء أخرى من وراءومن تحت أدبية الأدب " [1].

إذا ما تأمّلنا هذا القول جيدا، نجد أنّ عبد الله الغذاميُصرّح بضرورة توسع فهم المؤسّسة الرسميّة الأدبيّة ، وضرورة تحرّرها من الوظيفة التقليدية للنّقد الموروث ويدعو مباشرة إلى تلك النقلة النوعيةللنقد من كونه أدبيًا إلى كونه ثقافيّا.

وانطلاقا من هذا سنحاول الوقوف بعض الشيء عند الجهاز الإجرائيّ للنقد الثقافيّ متطرّقين إلى مفهوم النقد الثقافي وأبرز مرتكزاته.

لقد تنوّع مفهوم النقد الثقافي بين النقاد بدءا بليتش الذي أطلق على ما بعد الحداثة مصطلح النقد الثقافي، واعتمد على الرؤيّة الثقافية كمنهجية جديدة بعيدة عن وظيفة النقد التقليديّة ذات الوجهة الجماليّة والبعدالمؤسّساتي.

1- عبد الله محمد الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق العربية، ط 3، 2005 ،المركز الثقافي العربيّ، الدار البيضاء ، ص 14 .

أما عند العرب نجد أوّل من نقل النقد الثقافي هو الناقد السّعوديّ عبد الله محمد الغذّامي في كتابه الموسوم ب "النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية" وتبعه بعدها عدد من النّقاد الذين نقلوا عنه وأصدرواأفكارهم الخاصة بهم.

من بين هؤلاء الدكتور سمير الخليل الذي عرّفه قائلا:

"النقد الثقافي في أبسط مفهوماته ليس بحثا أو تنقيبا في الثقافة، إنّما هو يبحث في أنساقها المضمرة وفي مشكلاتها المركبة والمعقّدة ؛لذافهو نشاط إنسانيّ يحاول دراسة الممارسات الثقافيّة في أوجهها الاجتماعيةوالذاتية، بل في تموضعاتها كافّة، بما في ذلك تموضعها النصوصيّومن هنا يختلف النقد الثقافي عن النقد الأدبي"[1].

أما الدكتوران ميجان الرويلي وسعد البازعي، فقد عرّفا النقد الثقافيبقولهما: "النقد الثقافي culturalcritism في دلالته العامة يمكن القول إن النقد الثقافي كما يوحي اسمه نشاط فكريّ يتخذ من الثقافة بشموليتها موضوعا لبحثه وتفكيره، ويُعبّر عن مواقف إزاء تطوراتها وسماتها وبهذا المعنى يمكن القول إن النقد الثقافي نقد عرفته ثقافات كثيرةومنهاالثقافة العربية قديما وحديثا"[2].

ومن الضروري هنا إيراد مفهوم شامل للنقد الثقافي مما عرفه مؤسسه الناقد السعودي عبد الله الغذامي، حيث يُعطي تصورّا واضحا لمعالم نظرية النقد الثقافي.

1- سمير خليل، دليل مصطلحات الدراسة الثقافية والنقد الثقافي، مراجعة د. سمير الشيخ، ب د.ط،1971 ، دار الكتب العلمية ، لبنان ص 303.
2-ميجان الرويلي، د. سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ط 3،2002، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، ص 305، 306.

يقول الغذامي: "النقد الثقافي فرع من النقد النصوصي العام، ومن ثمّ فهو أحد علوم اللغةمعني بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه. وهو نقد غير مؤسساتي وغير رسمي، فهو غير معني بكشف الجماليات كالنقد الأدبي، وإنّما همّه الكشف عن أقنعة المخبوء جماليًا وبلاغيا"[1].

ومن هنا يتجلّى لنا أنّ النقد الثقافي أداة جديدةفيالثقافة العربيّة المعاصرة، وقد ارتكز أساسا على نقد العمليّات النقديّة والمفاهيم السائدة في النقد الأدبي محاولا تجاوز البعض منها وتطوير البعض الآخر، وقد تمّ ذلك على مستوى عناصر الرسالة (**الوظيفة النسقية**)، وهي من مرتكزات النقد الثقافي.

ويرى الغذّامي أن هناك ستّة مفاهيم، ينطلق منها الناقد في تحليله للنصوص الأدبيّةوقد اعتبرها مرتكزات وأسس، واقترح عنصرا سابعا إلى العناصر الستّة، وهو العنصر النسقيّ؛ حيث استعار مصطلحات من النقد الأدبي وجعلها صالحة للتوظيف في مجال النقد الثقافي "وهي مصطلحات: العنصر السابع، والدلالة النسقيّة، والجملة الثقافية، والمجاز الكليّ، والتوريّة الثقافية وهذه تحويرات لمصطلحات نقديّة أدبيّة، تقابل كلّ واحدة منها، وهي: عنصر تركيز الرسالة على نفسها، والدلالة الضمنيّة، والجملة الأدبيّة، والمجاز البلاغي، والتوريّة البلاغيّة، مع مفهومي النسق المضمر والمؤلف المزدوج" [2] ؛ فهي آليات حدّدها للتحليل الثقافي نوجزها فيما يلي:

1- عبد الله الغذامي وعبد النبيّ اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبيّ؟ ، ط 1 ، 2004 ، دار الفكر، دمشق، ص 83، 84.

2- المرجع نفسه، ص 27

الوظيفة النسقيّة:

ويرى الغذاميأنه لابد من ربط النقد الثقافي بالنسقية، حيث أضاف كما أشرنا العنصر السابع إلى عناصر الخطاطة التواصليّة الستة، التي حدّدها جاكبسون وهو العنصر النسقيّ لتكون الرسالة "الخطاب" قابلة للتفسير النسقيّ وبالتالي تحديد الوظيفة النسقيّة، وقد شكّلت هذه الإضافة أساسا نظريا لدراسته.

الدلالة النسقية: يستند النقد الثقافي إلى ثلاث دلالات، الدلالة المباشرة الحرفية، والدلالة الإيحائية المجازية الرمزية، والدلالة النسقية الثقافية.

الجملة الثقافية: سعى الغذامي إلى اعتماد الجملة الثقافية، فالجملة الثقافية هي النوع الثالث بدل الجملة النحوية والأدبية، تعنى باستكشاف المنطوق الثقافي وتحصيل المعنى السياقي، وهي تعبير مكثف، فقد نجد جملة ثقافية واحدة بمقابل ألف جملة نحوية.

المجاز الكلي: يهدف النقد الثقافي إلى استخلاص المجازات الثقافية التي تتجاوز المجاز البلاغي والأدبي المنفرد؛ حيث يتحول النص أو الخطاب إلى مضمرات ثقافية مجازية وقد أسماه الغذامي بالعمى الثقافي، فهو القناع الذي تتقنع به اللغة لتمرر أنساقها الثقافية، ويعني هذا أن النص أو الخطاب الثقافي يتحول إلى استعارات ومجازات كلية تحمل في طياتها مدلولات ومقصديات ثقافية مباشرة وغير مباشرة.

التورية الثقافية: تتكئ التورية الثقافية في النقد الثقافي إلى معنيين: معنى قريب غير مقصود، ومعنى بعيد مضمر، وهو المقصود. وقد وسع الغذامي البلاغة العربية القديمة، ليتّخذ من التورية مفهوما إجرائيا جديدا، بغية تطبيقه على النصوص في ضوء المقاربة الثقافية.

النسق المضمر: يعتمد النقد الثقافي على مصطلح النسق المضمر، وهو نسق مركزي للمقاربة الثقافية. باعتبار أن كلّ ثقافة معينة تحمل في طياتها أنساقا مهيمنة، فالنسق الجمالي والبلاغي في الأدب يخفي أنساقا ثقافية مضمرة، وغالبا ما يتخفى النسق الثقافي وراء النسق الجمالي والأدبي ومن ثمّ؛ فاستخلاص الأنساق الثقافية المضمرة ذات قابلية جماهيرية شعبية، على عكس الأنساق النخبوية التي لا تلقى شعبية عامة على مستوى الاستقبال والاتصال.

ويعني هذا أنالمقاربة الثقافية لا يهمّها في النص تلك الأبنية الجمالية والفنية والمضامين المباشرة بل ما يعنيها هو استكشاف الأنساق الثقافية المضمرة.

المؤلف المزدوج: وهو الكاتب الجمالي والأدبي الذي ينتج أنساقا أدبية وجمالية فنية ظاهرة ومباشرة أو غير مباشرة، وذلك عن طريق الرمزية والإيحائية، وهناك في المقابل المبدع الثقافي الذي يتمثل في الثقافة نفسها، التي تتوارى وراء الظاهر في شكل أنساق مضمرة غير واعية.

ويعني هذا أن هناك فاعلين رئيسين: المبدع الفردي أو ما يسمّى أيضا بالمبدع الأدبي والجمالي والفني، والفاعل الثقافي الذي يتمثل في السياق الثقافي.

3- مفهوم الأنساق المضمرة:كما أشرنا سابقا يأتي مفهوم النسق المضمر فينظرية النقد الثقافي بوصفه مفهوما مركزيا "والمقصود هنا أن الثقافة تملك أنساقها الخاصة التي هي أنساق

مهيمنةوتتوسل لهذهالهيمنة عبر التخفي وراء أقنعة سميكة، وأهم هذه الأقنعة وأخطرها هو في دعوانا قناع الجماليّة أي إنّ الخطاب البلاغي الجمالي يختبئ من تحته شيء آخر غير الجمالية، وليستالجمالية إلا أداة تسويق وتمرير لهذا المخبوء، وتحت كلّ ما هو جمالي هناك شيء نسقي مضمر ويعمل الجمالي عمل التعمية الثقافية لكي تظل الأنساقفاعلة ومؤثرة ومستديمة من تحت قناع[1].

4- تعريف النسق لغة واصطلاحا: إنّ مصطلح النسق من أهم المصطلحات الرائجة في حقل الدراسات الأدبية والنقدية، وإذا تطرقنا إلى مفهومه في المعاجم اللغوية نجد ما يلي:

الدلالة اللغوية: جاء في قاموس محيط المحيط، في باب النون ما يلي:

" نسقَ:[ن ، س ، ق] ، على نسق واحد : على نمط واحد .

سار على نسقه:منواله، أي حاكاه وسار على سيره.

"حروف النسق" حروف العطف، نسق الدرّ ينسقه نسقا، نظمه على السواء، والكلام رتّبه وعطف بعضه على بعض على نظم واحد" [2].

أما مختار الصحاح فقد ورد فيه:

" ... والنسق أيضا ما جاء من الكلام على نظام واحد و"النسقُ" بالتسكينمصدر نسّق الكلام إذا عطف بعضه على بعض"[1].

1- عبد الله الغذامي ود. عبد النبي اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي؟ ط 1 ، 2004 ، دار الفكر، دمشق ، ص 30.

2-بطرس البستاني، محيط المحيط، تحقيق محمد عثمان، المحتوى باب النون، باب الياء، الجزء 9، ط 1 ، 2009 ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ص 114 ، 115.

أما في المعاجم الغربية الحديثة والمعاصرة نجد معنى النسق (système) "يدل على مجموعة من العلامات اللسانية والأدبية والثقافية، أو على مجموعة من العناصر والبنيات التي تتفاعل فيما بينها، وفق مجموعة من المبادئ والقواعد والمعايير. ويتحدد النسق أيضا بواسطة مكوناته وعناصره وبنياته التي يتضمنها، ومن خلال مختلف التفاعلات التي تقيمها العناصر فيما بينها، وعبر الحدود التي تفصل بين العنصر الذي ينتمي إلى النسق الداخلي، أو الذي ينتمي إلى محيطه الخارجي، مع تبيان آليات التفاعل التي تتحكم في النسق في ارتباطه الوثيقبمحيطهالسياقي المجتمعي والثقافي"[2].

الدلالة الاصطلاحية:

أما من الناحية الاصطلاحية فنجد أن النسق يأخذ معاني أوسع، وقد عرفه "تالكوتبارسونز" بأنه: "نظام ينطوي على أفراد مفتعلين تتحدد علاقاتهم بعواطفهم وأدوارهم التي تتبع من الرموز المشتركة والمقررة ثقافيا في إطار هذا النسق، وعلى نحو يغدو معه مفهوم النسق أوسع من مفهوم البناء الاجتماعي"[3].

فمن خلال هذه التعريفات يتبيّن لنا أنّ النسق في مجال النقد الثقافي هو الترتيب والتصنيف،والنظام.

1- زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح المحقق: يوسف الشيخ محمد، عدد الأجزاء 1 ، ط 5 1999 ، المكتبة العصرية الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ص 309 .

2- حميد الحميداني، نحو نظرية أدبية ونقدية جديدة (نظرية الأنساق المتعددة)، ط1، 2006، شبكة الألوكة، ص 8

3- أديثكوزيل: عصر البنيوية، تر : جابر عصفور، ط 1 ، 1993 ، دار سعاد الصباح، الكويت،ص 411.

5- مفهوم المضمر:

ينتمي مصطلح المضمر إلى الجذر اللغوي "ضمر" ومن أهمّ المعاني التي وردت في لسان العرب: " تضمّر وجهه: انضمّت جلدته من الهزال،والضمير: السرّ وداخلالخاطر،والجمعالضمائر،اللّيث: الضمير الشيء الذي تُضمره في قلبك، تقول أضمرت صرف الحرف إذا كان متحرّكا فأسكنته،وأضمرت في نفسي شيئا ... " [1].

6-مفهوم النسق المضمر:

وعند تركيب مصطلحي النسق والمضمر، يتكون لدينا مفهوم (**النسق المضمر**)أي أنّه يحتوي على أفكار فيها إيحاءات أخرى مضمرة غير ظاهرة.

"يأتي مفهوم النسق المضمر في النقد الثقافي بوصفه مفهوما مركزيا والمقصود هنا أن الثقافة تملك أنساقها الخاصة التي هي أنساق مهيمنةوتتوسل لهذه الهيمنة عبر التخفي وراء أقنعة سميكة وأهمّ هذه الأقنعة وأخطرها هو قناعالجمالية أي الخطاب البلاغي الجماليّ يخبئ من تحته شيئا آخر غير الجمالية وليست الجمالية إلا أداة تسويق وتمرير لهذا المخبوء، وتحت كلّ ما هو جمالي هناك مضمر نسقي ويعمل الجمالي على التعمية الثقافية لكي تظلّ الأنساق فاعلةومؤثرة ومستديمة من تحت القناع"[2].

1- الإمام العلاّمة أبي الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم ابن منظور الإفريقيّ المصريّ ، لسان العرب ، المجلّد 4 ، دار صادر بيروت ، ص 492

2-سمير خليل، دليل مصطلحات الدراسة الثقافية والنقد الثقافي، مراجعة د . سمير الشيخ ، ب د . ط ، 1971 ، دار الكتب العلمية، لبنان ص 293 .

7- التمييز بين النقد الثقافي والدراسات الثقافية:

حاول الدكتور سمير خليل تلخيص الفروقات بين الدراسات الثقافية، والنقدالثقافي، وتمثلت فيما يلي:

1) النقد الثقافي يتعامل مع نسق مضمر ما ورائي، لا يظهر في النصوالخطاب، أما الدراسات الثقافية تتعامل مع ظواهر ثقافية ظاهرة، وما ورائيةمنسجمة مع السياق الثقافي الكامن في الخطاب.

2) هناك تشابه بين النقد الثقافي والدراسات الثقافية، في مواجهة الخطابات المؤسساتية وتفكيكها، وتهتم بالمهمل والمهمّش والمقصيّ في الخطاب.

3) في النقد الثقافي هناك أدوات شبه إجرائية للبحث عن النسق المضمر والعيوب النسقية لخصّها الغذامي بالجملة الثقافية والتورية الثقافية وغيرها،وهذه لا وجود لها في الدراسات الثقافية.

4) تهتم الدراسات الثقافية بالسياقات المنتجة وأبعادها الفلسفية والاجتماعية والتاريخية،بينما النقد الثقافي لا ينشغل بذلك كثيرا.[1]

5) في النقد الثقافي الخطاب له ذائقة كبرى في التلقّي، بينما نجده في الدّراسات الثقافيّة نخبويّا لا جماهيريّا.

1- سمير خليل، دليل مصطلحات الدراسة الثقافية والنقد الثقافي، مراجعة د . سمير الشيخ ، ب د . ط ، 1971 ، دار الكتب العلمية، لبنان ، ص 167 .

وعليه فالنقد الثقافي ليس هو الدراسات الثقافية؛ فكلّ منهما يمثّل حقلا معرفيّا فالدراسات الثقافية أعمّ وأشمل من النقد الثقافي؛ فهي تهتمّ بالحضور الثقافيفي النص أو الخطاب وتعمل على الظّاهر والمعلن، أمّا الماورائي ؛ فهي تهتمّ به إذا تطابق مع الخطاب الحامل للنسق الثقافي المرئي فقط، أمّا إذا اختلفافهنا نحن أمام رعاية النقد الثقافي.

8- الأنساق المضمرة في الرواية العربية:

نقد النص الروائي العربي نقدا ثقافيا لا يخرج عن آليات المنهج الجديدة، بنظرته الشموليةعند تناول الظاهرة الأدبية، حيث تناول مختلف المواضيع الثقافية داخل النص الأدبي بصفة عامة باحثا عن الثقافة داخل الأدبية في مهمة مساءلة الأنساق المضمرة. ولعل مساءلة الأنساق المضمرة في الرواية العربية جاءت أولاً لتضع نصب عينيها ظروف إنتاج النص ونطاقاته الاجتماعية والسياسية والتاريخية والدينية، باحثة عنها وراء جماليات النص وبالإضافة إلى البحث عن الأنساق المضمرة في النص هناك البحث عن الهامش والمخبوء والمسكوت عنه في الذاكرة الشعبية ، وحتى الأدبية منها من مثل:زواجالقواصر، وقضايا الهوية واكتشاف الذات، وقضايا اللون والعرق، كذلك ثنائية الرجل والمرأة، والسعي إلى إخراج المرأة من الهامش إلى المركز، دون أن ننسى قضايا العنف ومعاناة الطبقة البسيطة من عامة الناس، وفك العزلة عن الريف...

- باعتبار أن النصّ الرّوائي له القدرة على رصد التفاصيل والجزئيات ورسم واقع المجتمع وتجسيد ظروف المهمشين والمقهورين، فنجده قد عبر عن قضايا الهامش بمختلف أنواعه، اجتماعي كانلغوي أو جنسي.

الفصل الأول

الأنساق السياسية في رواية عطش البحر

- رمزية العنوان
- النسق التاريخي
- نسق المقاومة والانتفاضة

1- رمزية العنوان:

للعنوان أهميّة كبيرة في كشف غموض النص، ويساهم في توضيح دلالاته، فالعنوان هو المفتاح الضروري لسبر أغوار النص[1]، فهو عتبة من عتبات النص الروائي إذ يحيلنا إحالة خارجية ومن ثم فهو يمكّن القارئ من فهم وتأويل الرواية ومعرفة مقاصدها.

وقد جاء عنوان رواية "عطش البحر" مشحونا بدلالات مختلفة ؛ فقد عبّر عن عطش كل أفراد الأسرة المتكونة من الجدّ والأمّ والحفيد إلى الحريّة والأمل، وكل يحاول الارتواء بطريقته الخاصة وحسب طاقته. وما هذه الأسرة إلا أنموذج واحد عن بقية الأسر الفلسطينيّة التي تعاني ويلات الاحتلال الإسرائيليّ، فهي تتطلع إلى الحرية والاستقلال، كما يشير العنوان إلى تناقض الواقع الفلسطيني، حيث يعيش هؤلاء على شاطئ البحر لكنهم محرومون من حرية الوصول إليه.

والبحر رمز للسعة، والحرية والاستقلال، والأمل في تحقيق العدالة وهو ما ينشده الفلسطينيون في ظل الاحتلال الصهيونيّ، ولعلّ الكاتب أشار إلى كون البطل خالد هو البحر في حدّ ذاته، الذي يتعطش إلى الحريّة والنصر حتى أن زوجته سميرة كانت تناديه بالبحر: "أنت يا بحر، كمكنت أخشى أن أغرق فيك"[2].

أما العطش فهو رمز للحرمان والقهر والظلم، وهو يوحي بالفقد والحنين وفي عمليّة الحنين والانتظار هذه، يرسم الكاتب لوحة مفككة لعلاقة لا يتم فيها اللقاء بين الأب والابن وبين الجدّ وقريته التي رُحّل عنها إلاّ في الأحلام المزعجة، فيظلّ الابن يبحث عن الأب في أحلامه وفي صورته المؤطّرة في

1-جميل حمداوي سميوطيقا العنوان، العدد 3 ، المجلد 25 ، 1997 ، مجلة عالم الفكر، الكويت ، ص 8.

2-رجب عطا الطيب، رواية عطش البحر ، ط 1 ، 1994 ، دار الينابيع ، دمشق ، سوريا ، ص 49

برواز معلق على الحائط، ويظلّ الجدّ يتطلع إلى قريته التي هُجّر منها، وكل هذا لم يرو عطش الابن لأبيه ولا عطش الجد لقريته.

وقد جمع المؤلف بينهما في قالب يوحي بالتناقض، ممّا يخلق شعورا بالتأزّم والصراع، فيجذب بهذا التناقض فضول القارئ.

وجعل الكاتب رجب عطا الطيّب عنوان روايته بلون أحمر" يثير روح الهجوم والغزووالشجاعة والثأر"[1]، وكأنّ الكاتب يريد أن يخبرنا بأن لا سلام يروي عطش هذا الشعب إلا الصمود والتحدّي والثأر.

وفي الرواية عنوانان فرعيّان: أفق المستحيل وربيع الحقول، حيث جعل المؤلف للمستحيل أفقا وكأنّه يشير إلى أنه بالإمكان تجاوز الأفق البعيد وتحقيق المستحيل، أما العنوان الثاني ربيع الحقول فيرمز إلى انتفاضة شعبية أو ثورة ضد الظلم، وكأنّ المؤلّف يريد أن يقول لنا أن الربيع آت لا محالة ليبعث شعورا بالأمل والتفاؤل من جهة، وواجب التصدي للمحتل والتضحية بالنفس والنفيس من جهة أخرى.

وقد أبدع الكاتب في اختيار العنوان، فبعد قراءة الرواية هناك تطابق بين هذا الأخير ومحتوى الرواية ومتنها، لتتحقق "الطاقة الإغرائية التي تدفعبفضول القراء للكشف عن غموضه وغرابته"[2]فيدفعهم إلى التفكير في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي الأزلي، كما أنه يثير مشاعر التعاطف معالشعب الفلسطيني في نضالهم ضد المحتل الغاصب.

1- أحمد مختار عمر، اللغة واللون، ط 2 ، 1997 ، عالم الكتب القاهرة، ص 154.

2- عبد الحق بلعابد، عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، ط 1 ، 1429هـ - 2008 م،الدار العربيّة للعلوم ، بيروت ، لبنان ، ص 84.

2- النسق التاريخي:

لقد صوّرت الرواية العربية في بدايات القرن الماضي واقع المجتمع العربي تصويرا دقيقا، خاصة علاقة هذه الشعوب بالاستعمار بمختلف أنواعه.

وتأتي رواية عطش البحر بعد رواية " دائرة الموت " التي تحكي قدر الفلسطينيّ في مواجهة الموت من أجل حرّيته وحرّية وطنه، فما رواية عطش البحر إلا امتداد لها؛ حيث عالج المؤلّف في الرواية أحداث الانتفاضة الفلسطينية الأولى التي كانت سنة 1987، والتي تعدّ معلما بارزا في تاريخ المقاومة الفلسطينية.

وتجلىّ النسق التاريخي في الرواية من خلال تصوير الكاتب للأحداث بأسلوب سائغ، مبني على معطيات تاريخية مستقاة من الصراع الفلسطيني الإسرائيلي منذ الأزل، لتحكي انضمام الشعب الفلسطيني للدفاع عن أرضه وعرضه باستماتة بدءا بانضمام الجدّفي بداية الاستيطان حيث التحق بالثوّار، " بعتُ أساور زوجتي و اشتريتُ بارودة وانضممتُ إلى الثوّار، نقطع الطرق على الإنجليز ونهاجم مستعمرات اليهود .. " [1].

ويأتي بعده التحاق الأب محمود بالانتفاضة، ليأتي أخيرا انضمام الحفيد خالد،ليستشهد ويترك ابنه يتيما بعده، ولو تمعنّا في هذه المحطات النضالية جيّدا لوجدنا بأنّ ملحمة هذا الشعب وتاريخه النضالي، لا ينطفئ بمجرد موت الجيل الأول، وإنّما هناك امتداد ثوري من جيل إلى جيل آخر أكثر تحدّ وأكثر وعي.

1- رجب عطا الطيّب أبو سريّة ، رواية عطش البحر ، ط 1 ، دار الينابيع ، دمشق ، سوريا ، ص 9

فرغم اختلاف الرؤى بين الجدّوحفيده، إلا أنّ نظرتهما للحفاظ على الإرث التاريخي المتمثّل في الأرض والدين قائم لا محالة، ولا يتأتّى ذلك إلا بالنضال والثورة ضدّ الاحتلالفقال الجدّ "أتدري يا خالد لو بعد ألف عام، سيجيئ جيل يعرف كيف يقاتل، ويتمكن من إعادة الحق إلى نصابه"[1].

وهذا ما وضّحه المؤلّف وسجله التاريخ عبر السنين، فرغم طول فترة الاحتلال إلا أنّ هذا الشعب الصامد أثبت جدارته في المقاومة ورفض الظلم بكل أشكاله.

3- نسق المقاومة والانتفاضة:

لقد صوّر الكاتب الفلسطينيّ رجب عطا الطيّب من خلال الرواية الواقع السياسي للشعب الفلسطيني المنتفض ضدّالظلم، متمثلة في أسرة البطل خالد الذي لم تترك له هذه الظروف القاسية فرصة التعرّف على والده الفارس محمود.

ومن بين الأنساق السياسية المهيمنة على الرواية، نسق المقاومةوالانتفاضة، الذي ظهر جليّا في عدة محطات من الرواية.

فظهر في غياب الأب الذي سيطر على أحداث النصّ، الفارس محمود الذي فضّل الانضمام للمقاومة والوقوف ضد الاحتلال على أن يهنأ بزواجه وحياته مع زوجه وابنه، وهي لا تزال حاملا به وهذا ما لخصّه الكاتب في قوله:"... طار من الفرح حين أخبرته أوّل مرة، وقال نسميه خالدا وبعد أقل من شهر على اليوم المرتقب كانت الحرب، وطار معها لست أدريكيف..."[2].

1- رجب عطا الطيب أبو سرية، رواية عطش البحر، ، ط 1 ، دار الينابيع، دمشق ، ص 9.

2- رواية عطش البحر، ص 14.

وقد بدا لقاء الفارس بأسرته مستحيلا، ما دام الاحتلال موجودا يدنّسالأرض "... أن يعود هو فهذا أمر مستحيل مادام الاحتلال هنا ..."[1].

وقد توافق الكاتب في هذا مع الكاتب الجزائري الطاهر وطار في مجموعته القصصية "الطعنات"، في كون الرجل العربي إذا خرج مدافعا عن وطنه لن يعود إلا وهو منتصر، فقال: " أختي المسكينة، سبع سنوات وهي تنتظره تنتظر البطل الظافر حتى يعود، مشدود الحزام بالخرطوش والقنابل"[2].

ظهر النسق مرة أخرى في حركات وسكنات البطل خالد الذي ولد يتيما، على اعتبار أنه لم ير فارس أحلامه، إلاّ في الأحلام المزعجة التي غالبا ما تكون أحلام يقظة، خالد البطل الصغير الذي عاش حياته منتظرا لأبيه، فلا الوالد عاد ولا أحلام خالد هدأت.

بعد عشرين سنة،كبر خالد وكبرت معه آماله بلقاء المستحيل، فوجد نفسه حائرا من أن يلتحق بوالده أو أن يبقى لرعاية عائلته، في وطنه ".... منذ ولدت وأنا أجد نفسي حائرا، أن أختار بين أن أكون هنا، بين أهلي في وطني ..... وطني صحيح أنّه محتل وأنه يشبه الجحيم لكنّه وطن وليس منفى، وبين أن أكون مع أبي... ولماذا؟ ألا مـن وسيلة للجمع بينهما؟"[3].

هكذا كان خالد يعبّر عن بعض خلجاته، فما كان يخرج عن حيرته تلك إلا بالهروب ناحية البحر ليسترسل في أحلام اليقظة تلك، ثمّ ما يلبث أن يلقي باللّعنةعلى كل شيء.

1- رواية عطش البحر، ص 14.

2-الطاهر وطار، الطعنات، 2013 ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، ص 34.

3- رواية عطش البحر، ص 14.

ولا بأس أن نشير هنا إلى أنّ الكاتب أبدع حين اختار اسم خالد ليدل على خلوده حتى بعد استشهاده، فالبطل لا يموت بمجرد موت جسده، فخالد "دائم، مقيم"[1] في قلوب الفلسطينيين وباستشهاده أصبح أيقونة لهم؛فبثّ فيهم العزم على النضال ومواصلة الركب الجهادي بعده.

وقد ظهر النسق مرّة أخرى من خلال تصوير الروائي للظّلم المفروض على الشعب الفلسطيني، الظّلم الذي دفع بهم إلى الثورة والنضال فكان يختم في كل مرّة حكايته بحضر التجول المفروض على أهل المخيم، والممارسات القمعية التي صورها الكاتب بأنها وسيلة إخضاع، فبمجرد أن تغيب الشمس، يهدأ الجميع ويسكن إلى داره وأهله وفي ذلك الهدوء والسكينة، شعور بالإهانة ورغبة بالانتقام والثورة.

ولكن مهما غابت الشمس، فشمس الحريّة لن تغيب وربيع الحقول آت لا محالة، قد يستشهد الآلاف وليس خالد فقط ولكن ... سيأتي جيل آخر في كل مرة لينفض الغبار عن سلاحه، وليستلم راية الشرف.

وهذا ما عالجه الكاتب في عنوانه الثاني "ربيع الحقول" نعم تغيّرت نظرة خالد للحياة، فقد كبر وأصبح أكثر وعيا لقضيّته، تزوّج من سميرة التي أثبتت هي الأخرى حبّها لوطنها، حين رفضت في البداية زواجها من خالد، لا لشيء إلا لإحساسها بكبر القضيّة "خالد ألا تلحظ كلّ هذا الاشتعال الذي حولنا؟"[2].

1-حنا نصر الحي، قاموس الأسماء العربية والمعربة وتفسير معانيها، ط 3 ،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 36 .

2- رواية عطش البحر، ص 43.

هكذا كانت تجيب سميرة في كلّ مرة يسألها خالد عن الزواج منه. ليتفاجأ باهتمامها هي الأخرى بالمقاومة. ويتفطّن إلى أنّها مهتمّة بالأحداث التي تجري في المخيم أكثر ربما من اهتمامها بزواجه منها "آه ... يا لي من غبيّ أيكون هذا هو السبب..."[1].

يرتقي خالد إلى السماء زوجا شهيدا "كان مغرما بالحياة"[2]بعد ليلة واحدة يقضيها مع زوجته امتدّت تلك الليلة لتكون دهرا مليئا بأحلام النصروأحلام زوجين ينعمان ببيت تلفه السكينة، في ظلّ الحرية والانعتاق من الاحتلال،لكن هيهات أن تتحقّق هذه الأحلام والوحش الغاصب موجود. ترك خالد زوجته ولا تزال أكفها مخضبة بالحنّاء، لتواصل بعده الدّرب هي وابنه الذي سيولد يتيما ولن يرى أباه إلا في صورة مؤطّرة في برواز على الحائط "تتحسّس بطنها يمرّ بذهنها خاطر ما، تدور الأرض بها، ثم يغلبها القيء"[3].

ويظهر نسق الانتفاضة والثورة جليّا بعد استشهاد خالد؛ فقد ترك خلفه بحراً هائجا مستعدا لأخذ الثأر، بحرا يمثّل الشعب الثائر بهيجانه وتلاطم أمواجه فهو يرفض الظلم، يرفض الانصياع، البحر هذا العملاق الهادئ الذي شيّع جنازة البطل خالد وقرّر مواصلة درب المقاومة والثأر إلى آخر رمق له، مهما كانت الضريبة غالية.

وفي الأخير ... وبعد وقوفنا على عتبات النصّ،والوقوفعلى أهمّ دلالات وإيحاءات متن النصّ الروائيّ، وجدنا أنّ المؤلّف " رجب عطا الطيب أبو سريّة " قام بتعرية الواقع السياسي الذي يعيشه الشعب

1- الرواية، ص 45.
2- المرجع نفسه، ص 52.
3- المرجع نفسه، ص 53.

الفلسطيني، من خلالفضح سياسة المحتلّ الصهيوني، وقد كان المخيم هو المكان الذي جرت فيه الأحداث،والذي انعدمت فيه كلّ معاني الإنسانية، فالاحتلال غايته السيطرة والقمع أمّا الشعب فقد كانت غايته الانعتاق والحريةوالعودة إلى القرية الأمّ.

فيُطرد الشعب من ملاذه الأصلي إلى مكان آخر، يسمّى ملجأ لتُفرض عليه قوانين وسياسات جديدة تقوده إلى مصير مجهول،ويُسمّى هؤلاء باللاجئين في سياسة الاحتلال.

الفصل الثاني

الأنساق الاجتماعية في رواية "عطش البحر"

- النسق الاجتماعي

- خالد ونسق الحرمان الأبوي

- نسق القرية والقيم الاجتماعية

- نسق الأنوثة

1- النسق الاجتماعي:

النقد الثقافي نقد دائم التشكّل والتلوّن، يتغيّر بتغيّر الناقد والثقافة فيظل مفتوحا على عالم التأويل، يتّخذ من النصّ وسيلة وأداة فيقرأ كل شيء فيه، فنجده يهتم باكتشاف الأنساق والقيم الثقافية المضمرة التي أتقنت الاختفاء تحت عباءة النصوص، فيهتم لذلك بالخطاب الروائي ويحاول ربطه بالواقع الثقافي، حيث ظروف إنتاجه، محللا إياه تحليلا ثقافيا.

ورواية "عطش البحر" لأبي سرية نص شديد الثراء حافل بالأنساق الثقافية وأهم هذه الأنساق "النسق الاجتماعي" والذي عرفه عالم الاجتماع الأمريكي"تالكوتبارسونز" قائلا: "النسق الاجتماعي عبارة عن مجموعة كبيرة من الفاعلين الذين تقوم بينهم علاقات تفاعل اجتماعي في موقف معين... ويتوجهون نحو تحقيق الإشباع الأمثل لحاجاتهم، كما تتحدد علاقاتهم الاجتماعية عن طريق بناء ثقافي مميز ومجموعة من الرموز المشتركة"[1].

النسق الاجتماعي الذي رأيناه ونحن نقرأ الرواية يتجسد من خلال سلوكات جمع من الأفراد المتفاعلين، حيث وجدنا نظاما متواصلا ومتوارثا نلمحه من خلال ذلك الترابط الروحي بين الابن والأب وبين الجد والقرية، داخل الهرم الاجتماعي الموجود فيها الجد، الأب، الابن.

وإذا قلنا بوضوح هيمنة البعد الاجتماعي على رواية" عطش البحر" فهذا ليس بغريب، لأنها أولا رواية، والرواية حديثة النشأة وارتباطها بالجانب الاجتماعي غالبا منذ البداية كان الأكثر من بين الجوانب الأخرى، ولأنها ثانيا جزء من المجتمع الفلسطيني، وجزء من هموم المؤلف ومسؤولياته

1- محمد عبد المعبود مرسى: "علم الاجتماع عند تالكوتبارسونز بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي"، ط 1،2001،جامعةالقصيم السعودية ص 102-103.

تجاه وطنه وأبناء وطنه، وهذا ما كشف عن مضمونه الروائي" أبو سرية" بشكل مسبق في العتبة النصية" تقديم" الواجهة الأولى للمتن النصي للرواية حين قال:" ما كنت أعرفه، لكنني كنت أحس به كشيء خانق يحز أعصابي بسكين ملوثة ... من المستحيل أن أتجاهل هذا الفتى"[1].

وقد تعددت أنواع النسق الاجتماعي بحسب تعدد المواقف والأحداث في الرواية التي أوردها الروائي "رجب أبو سرية " عبر سرده ووصفه تارة، وعبر مواقف شخصياته تارة أخرى،وعليه فالرواية قد كشفت عن أنساق اجتماعية صورت حياة المجتمع الفلسطيني اللاجئ في ضوء العادات والتقاليد والأعراف السائدة.

ومن أهمّ الأنساق الاجتماعية المهيمنة في الرواية نسق "الحرمان الاجتماعي" وحالة عدم المساواة التي يعاني منها فرد أو مجموعة من الأفراد في المجتمع الفلسطيني، والذي تجسد في مسألة "الأبوة المغتصبة وعطش الابن لأبيه"، وحرمان الكثير من الأطفال الفلسطينيين من التمتع بهذه الرابطة التي تعد من أقوى الروابط الإنسانية، رابطة الدم، حيث يرتبط الابن بأبيه الحقيقي،وحيث يوجد الدافع الفطري للأب نحو وليده والمتمثل في حبه ورعايته وتقديم يد العون له والمحافظة عليه وحمايته ضدّ أي ضرر يصيبه، وهذا نجده حيث دارت أحداث القصة حول البطل الرئيسي "خالد" الابن، مع أبيه "محمود" المنفي خارج الديارکذلك نسق الارتباطبالأرض وحب الوطن، والذي ارتبط بشخصية الجد لحرمانه من القرية التي عاش وترعرع فيها، كذلك صورة المرأة الفلسطينية وسط مخيمات اللاجئين تعاني ويلات الحرب والحرمان هيالأخرى.

1- رجب أبو سرية رواية "**عطش البحر**"، ط1، 1994 ،دار الينابيع بدمشق، ص 3

وتعرض الرواية العديد من الأنساق الاجتماعية الأخرى كالزواج والتعليم وغيرها.

النسق الاجتماعي في رواية" عطش البحر":

بحسب ترتيب الحضور في الرواية، يأتي في الطليعة البطل "خالد" وهو يرنو لقاء أبيه.

2- خالد ونسق الحرمان الأبوي:

عبّر الروائي عن نسق مرارة الحرمان الأبوي التي عاشها خالد في كل ثنايا السرد الذكوريّ الذي سيطر على الرواية:

أولا: حيث ظهر وهو يصف حالة خالد على شاطئ البحر ينتظر عودة أبيه ويتخيله في الطرف الآخر منه، ويتمنى زوال الماء للقائه قائلا: "أهو جالس مثلي على حافة البحر من الطرف الآخر يفصل المدى بيننا"[1].

ويؤكد بأنه سيأتي، فقط لأنّ كل الذين أتوا إليهم بأخباره كانوا يؤكدون لهم ذلك، بل وتدفعه اللهفة للقائه إلى تخيّله وهو قد عزم على العودة فعلا "أم تراه بدأ منذ لحظات في التجذيف وما هي إلا ساعات أو أيّام ويبدأ الشبح الوهم في اكتساء العظم واللّحم فيفاجئني"[2].

ثانيا: ظهر هذا النسق كذلك في منلوجه الداخلي وهو يصف حاجته لحضن أبيه وحنانه قائلا: "جدّي إنّ يديه ترتعشان، وما عاد يقوى على مصارعة الموج، وأنا غضّ العود بحاجة إلى من يعلّمني ... إنّ حضن الأم دافئ كما أنّ صدرها حنون ولكنه لا يصنع الرجال"[3]، حتى أنّه يرفضان

1- الرواية، ص 4.
2- نفس المرجع، ص 4.
3- نفس المرجع، ص 4.

يصير شابّا برغم حصول ذلك حتى لا تنقضي طفولته دون أبيه الذي هو في أمسّ الحاجة إليه" الأم: لقد غدوت شابا يا حبيبي – أمّا هو فإنه يحاول من أعماقه أن يوقف زحف السنين،يخشى على طفولته أن تنقضي دون أن يعود إليه فارس الأفق"[1].

ثالثا: ظهر نسق مرارة الحرمان الأبوي كذلك في مسحة الحزن واليأس التي أصبحت تلازم خالد جراء طول انتظار المجهول، نظرته للبحر وهو أعزّ أصدقائه أصبحت نظرة سوداوية حزينة، حتى أنّ ماء البحر أصبح في نظره يودُّ الخلاص مِن قعره والخُروج إلى اليابسة "تعبّر عن رغبة البحر الأزليّة في التحرّر من جوف الحُفرة الهائلة التي فرضت على الماء أن يبقى أسيرها منذ الأزل"[2]، وإنّما يريد هنا إزالة العائق الذي يحول دون رؤيته لأبيه، بكل ما للبحر من دلالاتتوفر للفلسطينيّ ما يعتقده من حرية الاتصال بالخارج.

وحتى الأسماك وهي مرتاحة في عالمها حيث جوف البحر، ينظر إليها بسوداوية قائلا: " تمارس طقوسها في الحياة رغم ما يُحيط بها من ظلام"[3].

رابعا: يظهر النسق كذلك من خلال نوبات القلق والاغتراب التي تنتابه كلّما تذكّر أباه، القلق منكل شيء جعل منه شخصا ناقما وحاقدا ولاعنا لكل شيء كذلك نفسه أبوه، جدّه، أمّهسميرة حتى أنّه في الكثير من الأحيان كان يتمنّى الموت بل يعيشه للحظات" إلى أن وجد نفسه في الفراش تخيّل الموت... وضعوه في القبر الذي تمّ حفره في الصباح"[4].

1- الرواية، ص 5.
2- نفس المرجع، ص 4.
3- نفس المرجع، ص 4.
4- نفس المرجع، ص 15.

خامسا: الأحلام، وظّف الروائي الحلم كإستراتيجيّة سرديّة أتاحت له تحقيق الاتّساع والانفلات والهروب إلى عالم نفسيّ لا ينفكّ عن شبكة العلاقات العاطفية والنفسيّة والاجتماعيّة، والتي تتحوّل فيها المحسوسات إلى ملموسات (حقائق) حيث يمكن لخالد لقاء أبيه الذي طالما انتظره على شاطئ البحر.

فالروايّة هي مشروع فتى تتجسّد في الأحلام، وخالد فتى متأمّل غامض دائم السرحان والشرود، يحلم بأشياء كثيرة، تشبه شخصيّته شخصيّة الساردة في رواية "ياما" في رواية مملكة الفراشة "لواسيني الأعرج" التي تبدو وكأنها تعاني من شيء يشبه الباثولوجيا النفسية التي فصلتها عن واقعها وأنهكت نفسيتها إلى حدّالدّمار،فهي القائلة:" يحدث أن أغرق في أحلامي وهبلي. أحاول أن أنسى كل شيء وأعبر مثل الفراشة فوق ألسنة النار...أراني أحيانا طفلة صغيرة تركض وسط قوس قزح...وأحيانا أغرق في عرس الفراشات التي تستحم في ألوان الشجر والنوار والهواء"(1).

قسّم الروائي حياته إلى مرحلتين كما فعل الروائي "نجيب محفوظ" مع شخصية "سعيد مهران" في رواية "اللصّ والكلاب" حيث يقول: "مرة أخرى يتنفس نسمة الحرية...وها هو باب السجن الأصم يبتعد منطويا على الأسرار البائسة...وهو واحد خسر الكثير...وسيقف عما قريب أمام الجميع متحديا"(2).

1. واسيني الأعرج" **مملكة الفراشة**"ط1، دار الصدى للصحافة والنشر والتوزيع، يونيو 2013، ص34

2 نجيب محفوظ" **اللص والكلاب**"، ب د ط، مكتبة مصر، 1961، ص7

مرحلة" أفق المستحيل": وهي مرحلة التشتّت والضّياع وانتظار المجهول الذي أتعبه وأثقل كاهله، فهو الذي رافقه في أحلامه ويقظته، وما كان للعلاقة الحميمة أن يتمّ فيها اللّقاء إلاّ في الأحلام المزعجة"... توجّهت مجموعة من الرّجال لم يتبين الفتى ملامحهم باستثناء واحد كانت تتدفق الرجولة من عضلاته، ويشرق الضياء من وجنتيه، رجل طالما انتظر رؤيته، يشبه الصورة المعلقة أمامه على الجدار"[1].

بوح وعرض للأفكار التي قد تكون متناقضة أحيانا ومتضاربة فيها الأحلام المجهضة بالأحلام الممكنة أحيانا أخرى "يتكوّر الفتى حتى يعود إلى بطن أمه ينتظر أن تمسد جبينه كف أبيه"[2].

وقال: "كان القارب ينساب بهدوء ... حتى ما إذا خيّم الظلام، كان النغم يشقّ حالة الصّمت والسّواد فيحدّد ملامحهم، فلا تغيب عنه طلّة الرّجل الضاجّ بالرّجولة والوسامة والذي يشبه ذلك المؤطّر المنتصب على الجدار"[3].

مرحلة ربيع الحقول: مرحلة الانعطاف في حياة خالد البطل، مرحلة الرّاحة النفسيّة، بعد الالتحاق بالنضال حيث قال "وهكذا تواصلت أيامه من بعد ذلك، من بيت إلى بيت، ومن بيّارة لأخرى، لا يعرف للنوم مهجعا، ولا للنهار قيلولة، لكنّه يشعر برِضًا ما شعر بمثله من قبل"[4]، فبعد التوق الكبير للدّاخل الفلسطيني إلى الاتصال بالخارج المخلص المرتجوما ينعقد عليه مـــن آمال التحرّر، جاءت مرحلة الحسم، وجاءت الانتفاضة واعتماد الداخل على نفسه.

1- الرواية، ص 6.
2- المرجع نفسه، ص 5.
3- المرجع نفسه، ص 6.
4- المرجع نفسه، ص 46.

ويتّضح من خلال هذه المقاطع السّردية دلالات البُعد الاجتماعيّ لنسق الحرمان من الأب في الأسرة، فالمعاناة الناتجة عن هذا النسق لو نظرنا إليها من جانب آخر لوجدناها تعكس صورة مشرّفة للشخصيّة العربيّة وتكشف عن نسق مضمر هو رابطة الأبوّة المقدسّة وعن الصورة التي يرسمها الابن لأبيه لا شعوريا نتيجة علاقته المبكرة به وتأثيره فيه حيث يكون الأب هو الوسيط الذي ينقل الطفل، ليتعرف على عالمه الخارجي.

هذه الرابطة – في الأغلب – تعد من ثوابت مرحلة ما قبل التحولات في حياة خالد التي تبع فيها تعاقب الأجيال مع أنه لم تكتب له رؤية أبيه إلا في الأحلام، فهو الذي ولد في المخيم واختفت أخبار أبيه وهو لم يبلغ سن الثالثة.

ولعلّ هذا التتابع الذي لم ينفصل فيه اللاحق عن السابق، هو ما نجد الوظيفة التّحكّميّة في سلوك الأفراد . إحدى جوانب النسق الثقافي . تعبّر عنه" حيث يكون الفرد محكوما بالتّصرّف وفق ما يمليه عليه النسق الثقافي الذي يؤمن به"[1].

أمّا بعد التحوّلات، وطول الانتظار أصبحت من الثوابت المتحولة عند خالد فتكوّن صورة الأب لدى الطفل في الأول كانت مرتبطة بتصور الأم وكيفية نقلها له لتضاف إليها فيما بعد من المفروض سلوكات الأب، وأفعاله إيجابية كانت أم سلبية وذلك بقيامه بدوره وتولّيه مسؤولياته حضوره وتواجده في الأسرة كذلك نوعيّة اهتمامه بأطفاله، كلّ هذا في مراحل مبكرة، والتي سيستند عليها أكيد في المراحل المتقدمة، فالصورة لا تتعلق بوجود الأب فقط، بل بنوعية الأبوّة التي يقدّمها لأطفاله، وهذا

1- نادر كاظم " **الاخر تمثيلات** "، صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان،2004، ص97

ما حدث مع خالد بالفعل وتجسد في العديد من المقاطع منها "وما الجدوى من أب غائب وما الفرق أن يكون أبوك ميتا أو غائبا ولا يعود"[1].

"لكن غيبتك قد طالت أيها الرجل"[2]، وبعد مرور عشرين عاما يتطلع إلى الصورة بعد عودته من البحر ويقول: "لا لن أقبل أعذارا، عشرون عاما تكفي، إنني في الجحيم هنا، والبحر ملّ رائحتي"[3].

هذه المقاطع وأخرى صورت لنا تذمّرات خالد من هذا الوضع، والتي كانت تطوله وتدفعه للعديد من التساؤلات محدثا نفسه في أنه لابد أن يكون له أبا في مكان ما من العالم لكن أخباره انقطعت ومعها" نقوده التي يعتقد أنها كل واجبه نحوهم "[4] لقد أصبح الوجع واضحا، وملل الانتظار تمكن من خالد فما عاد يرسم لأبيه تلك الصورة المثالية أمام غيابه وتخليه عنهم، فالأب في نظره هو ليس الرجل فقط بل هو كتلة من الحنان لكن مع وجود غياب عن العائلة مدته عشرون عاما فهو لم يعد كذلك.

وفي الأخير وبالرغم من أنّه لطالما نادى جدّه بأبي، لكن هذه المرة وصل إلى قناعة أن أباه هو جدّه ذلك الهرم الذي رافقه طيلة حياته، فقرّر قطع ذلك التعلّق والترابط الوهمي بأبيه "محمود" ومرّر يده إلى جيبه وأخرج تلك الرّسالة ومزّقها الرسالة التي تقول بعودة أبيه قريبا، ومزّق معها أحلامه الواهية بالعودة واللقاء يوما.

1- الرواية، ص 5.
2- الرواية، ص 4.
3- المرجع نفسه، ص 6.
4- المرجع نفسه، ص 39.

3- نسق القرية والقيم الاجتماعية:

عند تصفحنا للرواية يطالعنا ذلك الهرم، رمز الوقار والاحترام "جد خالد"، الذي غادر القرية مكرها ولكنها ظلت تسكنه بشخوصها، بيئتها، جمالها، ووجعها أيضا، اعتمدت الرواية بشكل واضح على ذاكرة الجد لاسترجاع الماضي والذكريات، فحكايات الجد عن القرية لا تنتهي، ولا يملها خالد حيث يقول: "وفي الطريق تتغير الأيام، ولا تتغير حكايا الجد"[1].

فالجد في الرواية مفعم بالحب والاشتياق للقرية شديد الولاء لها، تتسارع دقات قلبه كلما جاش للذكرى فـ"يلكز ظهر الحمار بعصاه كأنه يهرب من شيء ما، لعلها الذكرى ثقيلة الوطأة على نفسه المتعبة"[2].

وهذه المقاطع السردية تحيلنا إلى قيمة الولاء والانتماء للمكان، حيث يشترك فيها الشاب والشيخ وإن كان للأخير عمق التعلق لكثرة الذكريات، فحديثه عن القرية هو حديث الرضا، بعين ترى الجمال – متواضعة لكنها شامخة – وتتغاضى عن العيب والشقاء.

وهنا يظهر نسق الرجولة والصبر عند الرجال الذي وظّفه الروائي، وأكّده السياق في كذا مرة مع شخصية الجد، شخصية تستطيع الإحساس بمعنى الهوية، لها ما يميزها من العقل والخيال.

ترسم الرواية بعدا داخليا لشخصية الجد دينيا وخلقيا، وهذا ما يحيلنا إلى نسق الالتزام والمحافظة، فهو ذلك الشخص المسلم المحافظ على صلواته، والعمل عنده عبادة، يحب العمل في الحقل سعيا للقمة العيش، ولا يمنعه مانع من مزاولته، فهو يذهب للحقل البائس على حد قول خالد حتى في فصل

1- الرواية، ص 7.

2- المرجع نفسه، ص 7.

الشتاء بلياليه الباردة،"قد يشتد كثيرا برد هذه الليلة، لكن كل قوة الأرض لا تستطيع أن تثني الشيخ في الصباح عن التوجه إلى عمله"[1].

فالجد في الرواية دائم التعلق بالأرض محب لها في كل مكان، أحب الحقل وعمل به مع حفيده قرب المخيم الذي لجأوا إليه من قريتهم شرقا، لكنه لم ينسه في أرضه الأولى "القرية" فهو دائما كان يحمل معه صرة بها تراب حتى أنه أوصى بدفنها معه "فإنه لا يفتأ أن يوصيهم بأن يدفنوا كنزه معه في مستقره الأخير"[2].

عندما نبحث في النسق الاجتماعي، نتجه لقراءة الرواية في سياق الممارسات المجتمعية، والأفعال والقيم والمعتقدات الخاصة بالفرد داخل الجماعة، وعليه عندما نبحث في شخصية الجد، فإننا نبحث عن علاقة الرواية بالقيم الاجتماعية للدفاع عنها ونشرها، من جهة، والثورة على القيم المضادة من جهة أخرى، وهذا هو همّ الروائي المثقف الذي يحاول توظيف كتاباته في خدمة قضايا مجتمعه.

والقيم الاجتماعية هي ممارسات ثقافية تتجسد من خلال سلوك أفراد المجتمع ولا يمكن أن توصف بالثابتة ما دامت يطرأ عليها بعض التحول والتغير نتيجة تحول وتغير هذه السلوكاتسلوكات يمكن اعتبارها أداة كاشفة عن النسق الاجتماعي ومدى ثباته من تحوله.

فالروائي وبوعي منه أظهر لنا قيما اجتماعية تمثلت في الطاعة، وحب العمل والتعاون من خلال طاعة الحفيد لجده، حيث لم يكن خالد يبالغ في التردد مثلا في النهوض من النوم ومرافقة جده

1- الرواية، ص 17.

2- المرجع نفسه، ص 44.

للحقل"فينهض ملقيا تحية الصباح على جده، ثم يقبل يده"[1]، كما أنه كان يحب هدوء الصباح مع جده في الحقل، مما يعني أنه كان يذهب للعمل عن طيب خاطر، ونجده قد تشارك معه حبه للقرية، ففي طريقه للحقل كان دائما يمعن النظر في التلة التي تنتصب إلى الشرق حيث القرية – " ومازال يتمنى أن يفلت يوما وينطلق إليها"[2].

كذلك نجد احترام السلطة الأبوية يظهر إلى جانب نظرة الوقار والاحترام للجد، حيث يشاور خالد أباه الصورة الإطار، ويستأذن منه في الذهاب للجامعة من عدمه بعد تحصله على الثانوية العامة.

إلا أنه وبلا وعي منه مرّر لنا أنساقا مضمرة من مثل تحول وتغير بعض هذه القيم عند الأجيال اللاحقة، حيث يشير إلى خالد الذي لم يكن يصلي "لكنه كان يعلم أن جده لن يمهله سوى لحظات ينتهي فيها من الصلاة، ثم يجيء إليه ... ويتوجه (خالد) إلى باحة الدار فيلطم وجهه بالماء"[3]، ليتوجه بعدها إلى الحقل مع جده، فخالد هنا لم ينهض للصلاة مع جده حيث كان نائما، ولم يتوضأ ليصلي بعد أن قام.

كذلك ظاهرة التدخين، آفة اجتماعية تمرد فيها النسق الفردي على النسق الجمعي فخالد لم يكن يدخن وصار يستهلك السجائر عند شعوره بالقلق يعتريه، الأم "وتدخن منذ متى يا بني"؟خالد: "لا أستطيع يا أمي، إنها المتعة الوحيدة لي أرجوك"[4].

1- الرواية، ص 7.
2- المرجع نفسه، ص 8.
3- المرجع نفسه، ص 7.
4- المرجع نفسه، ص 14.

هناك نسق خفي آخر يمكن أن نستشفه، وهو ذلك الخلاف الذي بدأ يظهر للعيان بين خالد وجده مع كل الحب الذي يجمعهما، بدأ خالد في إدراكه، وذلك أن الجد يطيل دائما النظر إلى الشرق، والثاني مهووس بتأمل الغرب، وإذا ما فككنا الصورة وجدنا الجد ينظر حيث توجد قريته التي هجرها بالقوة، والثاني حيث يوجد البحر وحيث يمكن لأبيه العودة، كذلك الجد يكره البحر الذي ابتلع ابنه محمود "البحر مفتوح على الغرب ... الذي يبلع الأبناء، فلا نعود نراهم مع الأيام"[1] ويكرهه لأنه المكان الذي جاء منه الغرباء بأساطيلهم.

هو تناقض لكنه يوحدهما إلى درجة الاكتمال، اكتمال مشروع الانتظار مع الارتواء لما هو ظاهر ومضمر لكليهما (القرية، وعودة الأب).

كذلك التمايز الثقافي بين الأجيال، نسق اجتماعي مضمر نلمسه في اختلاف الرؤى مع وجود جسر الهوة والمسافة الفكرية في صحبة الجد لخالد، يقول الجد محدثا خالد عن القرية: "أتدري يا خالد لو بعد ألف عام، سيجيء جيل يعرف كيف يقاتل... المهم أن لا نفقد إيماننا بالله"، خالد: "هليعني هذا أن أنتظر أبي ألف عام"[2].

هنا نلاحظ الفرق بينهما، فالتفكير ليس هو التفكير، ولا الانشغال هو الانشغال.

ومن بين المفارقات المضمرة كذلك، حكاية القرية التي تعلق بها خالد من خلال حكايا الجد والتي ما تأكد من حقيقتها حتى رآها، فوجدها كتلة من الأنقاض، الجد: "ألم أقل لك يا ولد، أننا

1- الرواية، ص 17.

2- المرجع نفسه، ص 9.

سوف نرجع يوما، خالد: "وهل تعتقد أننا نعود هكذا"[1]، وسواء في هذا المقطع أو غيره من المقاطع، فالنسق الاجتماعي موجود في ثنايا هذا الخطاب الروائي بمضامينه بشكل معلن أو مضمر.

4 – نسق الأنثى:

قدم لنا الروائي "رجب أبو سرية" أوجه مختلفة للمرأة، تسللت بذواتها بين ثنايا السرد الذكوري الذي يكاد يسيطر على الرواية، ولعبت مع ذلك دورها في سير الأحداث وتغيير مجراها ضمن المتن السردي، ووضعها قد عكس أنساقا اجتماعية في الرواية وحاكى الواقع، ما استوقفنا لتسليط الضوء عليه، ومن صور المرأة في الرواية:

المرأة الأم:

وتمثلت في شخصيةسلمى " أمخالد"، المرأة الخجولة البسيطة، التي وضعت لها مكانة في الرواية من حيث الأحداث إلا أنها ظهرت بصورة نمطية، اقتصرت وظيفتها على الزواج والإنجاب وخدمة البيت والسهر على تربية ابنها رغم الأوجاع والآلام، تظهر مبتسمة وممتثلة للتقاليد الاجتماعية، مستسلمة لها ولسلطة المجتمع، فهي تلك الفتاة التي لم تكمل دراستها، حيث تحصلت على الابتدائية فقط وأوقفت عن الدراسة لتصبح محط أنظار الخطابين بينما ابن عمها محمود –زوجها المستقبلي – الشاب العصبي القلق دائما فقد ألح عليه أبوها مواصلة تعليمه" وكانأبي من فرط حبه لابن أخيه وللعلم الذي حرم منه يلح عليه بإكمال تعليمه"[2].

1- الرواية، ص 22.

2- المرجع نفسه، ص 14.

وهذا مظهر من مظاهر التهميش للمرأة، الذي يشجع التعليم للذكور، ويحرم الأنثى منه لا لشيء فقط لإبراز فحولة الرجل في ثقافة المجتمع، حتى "تحافظ الثقافة – يقول الغذامي – على نسقها الذكوري السائد"[1]، فالأنثى مصيرها الزواج الذي تولاه أبوها والتقاليد حيث ربطوها بابن عمها منذ الصغر من دون صوت، يقول الغذامي: " فهي ليست ذاتا قائمة بوجود خاص لها، أو عليهاولها دور محتسب في أعمالها وفي تصرفاتها، ولكنها مخلوقة من أجل مخلوق آخر"[2].

الأم " سلمى" ضحت كثيرا في سبيل تربية ابنها، فشخصيتها تذكرنا بشخصية الأم أمينة في رواية "الثلاثية" لنجيب محفوظ، الأم التقية العطرة البعيدة عن التأثيرات العصرية والمدنية، تمثل براءة الفطرة، ونقاء الغريزة، ورسوخ الصلابة دفاعا عن أسرتها وأولادها، تبدأ الرواية بهاوتنتهي بموتها،" لم تعد هي أيضا . أمينة العهد الماضي. غيرها كثيرا الخزن والتوعك. وقد فقدت مع الزمان مثابرتها العجيبة على العمل وطاقتها الخارقة في التنسيق والتنظيف والتدبير"[3].

المرأة الزوجة:

مثلتها دائما "سلمى"، زوجة الابن "محمود" والتي تلعب ظاهريا دور تلك الزوجة المطيعة التي تخدم كل أفراد العائلة، حتى في غياب زوجها، فهي التي تقضي وقتها في عمل البيت دون انقطاع وعندما تنتهي منه، تحيك الصوف للجد وخالد وحتى الزوج الغائب، هنا تظهر الطاعةالمطلقةوالانقياد التام للتقاليد.

1- عبد الله الغذامي "**ثقافة الوهم**" مقاربات حول المرأة والجسد واللغة، ط 1998،1،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص 140.

2- المرجع نفسه، ص 140.

3- نجيب محفوظ " **السكرية**"، ط6، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2015، ص09

لكن المضمر هو أن المرأة في ظل الرجل لا إرادة لها، كيان ليس له الحق في الاعتراضأو الرفض والتذمر، تبدأ الرواية وتنتهي وهي في انتظار زوجها، انتظرته عشرون عاما" تحلم هي الأخرى بعودة زوجها"[1]، إلى أن بدأ اليأس والجفاف يعم أوصالها، وهذا تنكر للعواطفوالرغبات والقناعات الشخصية في حق المرأة.

المرأة المناضلة:

حيث لم يعد النضال حكرا على الرجال في ساحات المعارك، بل تعداه إلى المرأة من خلال شخصية "سميرة".

"سميرة" التي ظهرت بصورة المرأة الحبيبة المناضلة، رمز النقاء والعفة والطهر سميرة ابنة أخت "سلمى"، التي رفضت الواقع المرير الذي لا يمكن السكوت عنه وتمكنت من المشاركة في الانتفاضة مع شباب القرية، يناضلون من أجل المخيم والبلد.

"سميرة: ألا تلاحظ هذا الاشتعال الذي حولنا

خالد: أيكون هذا هو السبب أتهتم مهد (لقب سميرة) حقا بهذا الذي يدور في المخيم؟ ولم لا"[2].

يظهر من دلالات هذا المقطع نسقان اجتماعيّان مضمران:

الأول وهو هيمنة البعد الاجتماعي وسطوة الرجل الذي يغيّب حضور المرأة كشريك اجتماعي أو ثوري، ليظل النسق الذكوري هو المهيمن، حيث لم يخطر ببال خالد حتى أنها يمكن أن تهتم لحال الحرب.

1- الرواية، ص 43

2- المرجع نفسه، ص 45.

والثاني يظهر التحولات في ظل الثقافة الكونية، إذ تمكنت المرأة من تحرير نفسها من هذه السيطرةوساهمت في الحرب من أجل تحرير الوطن، بل وأقنعت حتى الرجل بالمساهمة فيالانتفاضة كخالد الذي أصبح مناضلا بفضل سميرة.

في الأخير وبعد دراستنا لمضامين الرواية، ورصدنا الكثير من أنساقها الاجتماعية المبثوثة في ثناياها، ووقوفنا عند أبعادها الدلالية، وحتى لا نخرج بالنص عن مجال النقد الثقافي، أظهرنا بعض المضمرات السلبية والتحولات في القيم الاجتماعية التي جاءت كتبعات لغياب الأب عن الأسرة في الرواية، وكشفنا عن المضمر المناقض للمعلن، الذي لم يتجاوز فيه الروائي "أبو سرية" هاجس الأنوثة والذكورة، وقضية مركزية الرجل وهامشية المرأة، بكسر هيمنة الثقافة الاجتماعية التي تحد من قيمة المرأة، وتفرض عليها قيمة المؤسسات الاجتماعية انطلاقا من الأسرة مرورا بمؤسسة الزواج وصولا إلى حتمية معايشة الظروف القاهرة.

خاتمة

اخترنا الرواية كجنس أدبي لأنّها الشكل الأنسب الذي يحمل الأنساق الفكرية والأيديولوجية وما إلى ذلك من مضامين اجتماعية وسياسية وثقافية وحاولنا من خلال الدراسة الكشف عن الأنساق المضمرة في رواية "عطش البحر" للروائي الفلسطيني رجب عطا الطيب أبو سرية، وذلك من خلال البحث عنها في عتبات الرواية وفي متنها، لأنّ النصوص الموازية أو العتبات كالعنوان الرئيسي والعناوين الفرعية والتقديم، وكل المرفقات للنص الروائي توجه رسالة مباشرة وغير مباشرة للمتلقي وتُسهم في رفع اللبس الأولي للمعنى الغائب، كما أنها تمهد لتلقي النص الروائي، أما من خلال المتن السرديّ فقد توصلنا إلى مجموعة من النتائج التي يمكننا أن نجملها في النقاط التالية :

1-النقد الثقافي يختص باستنطاق المضمر والمسكوت عنه، ولا يبحث فيالجماليات.

2- أن رواية "عطش البحر" للكاتب الفلسطيني رجب عطا أبو سريّة، جاءت محمّلة بأنساق متعدّدة، تجلت لنا عبر أنساق ظاهرة وأخرى مضمرة، هذه الأخيرة كشفنا عنها بواسطة آليات النقد الثقافي ووقفنا على مدلولاتها.

3- كالنسق التاريخي الذي وضح لنا الصراع الفلسطيني الأزلي مع الاحتلال الصهيوني، حيث قام الكاتب "رجب أبو سرية" بتعرية هذا الواقع بتصوير الظلم الذي عاشه ويعيشه الشعب الفلسطيني المكافح، الممثل في عائلة البطل خالد.

4- والنسق السياسي الذي سرد لنا الكاتب من خلاله حيثيات الانتفاضة الفلسطينية، ممثّلة في التحاق الجدّ بالمقاومة في بادئ الأمر وقبل ترحيلهم إلى مخيم اللاجئين، ثم انضمام الابن محمود

للانتفاضة وغيابه عن الأسرة الذي أثر عليها كثيرا، خاصة ابنه خالد، وأخيرا استشهاد البطل خالد الذي أيقظ القلوب من بعده.

5- نسق الحرمان الأبوي الذي عانى منه بطل الرواية "خالد" والذي حوّل حياته إلى جحيموأثّر على نموه وطفولته، وحتى شخصيته وجعله يعيش حالة حرب نفسية.

6- نسق القرية والترابط الروحي بينها وبين الجدّ الذي صوّر من خلاله حالة كل فلسطيني لاجئ بعيد عن الديار، وأحالنا إلى النسق الفردي، الذي قد نجده ينتمي للنسق الجمعي وقد يتمرد عليه أو ينهزم تحت وطأة فهم النسق الجمعيمن ناحية، وعجز النسق الفردي من ناحية أخرى.

7- نسق الأنثى حيث صوّرت الرواية المرأة الإنسانة، بأسمى معاني الإنسانية في شخصية "سلمى" الزوجة المطيعة المخلصة لعهد زوجها الغائب كون الفحل المضمر يمارس سلطته بالفطرة.

8- من النتائج أيضا المتوصل إليها، أنّ الرواية تلازمها ثنائية عجيبة وهي أن الإنسان مجبر على الاختيار، حيث نجد "الأم" مثلا مجبرة على الاختيار بين الذهاب إلى زوجها في المنفى بعد أن يكبر خالد والبحث عنه، أو البقاء فيالوطن والاهتمام بعائلتها،ولا بد لخالد أيضا أن يختار بين البقاء في وطنه برغم الحرب، وبين اللحاق بأبيه، وحتى البحر يظهر بصفتين متناقضتين مرة ذلك الطيب الكبير، ومرّة أخرى ذلك الهائج العملاق.

وفي الأخير ... فإن دراستنا للنص الروائي، كانت من منظور النقد الثقافي الذي يهتم بالأنساق الثقافية المضمرة خلف البناء اللغوي والجمالي، حيث استخرجنا بعضها، ويمكن لطلبة آخرين استخراج ما بقي فيها، كما يمكنهمدراسة جماليات النص فهو لا يخلو منها.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

1 . رجب عطا الطيّب أبو سريّة ، رواية عطش البحر ، ط 1 ، 1994 ، دار الينابيع ، دمشق سوريا.

2 . أحمد مختار عمر، اللغة واللون، ط 2 ، 1997 عالم الكتب القاهرة .

3 ـ أديثكوزيل: عصر البنيوية، تر : جابر عصفور، ط 1 ، 1993 دار سعاد الصباح، الكويت .

4 ـ آرثر ايزابرجر، النقد الثقافي، تر وفاء إبراهيم ورمضان بسطا ويسي، ط 1، 2003 م، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة .

5 ـ الإمام العلاّمة أبي الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقيّ المصري، لسان العرب ، المجلّد 4 ، دار صادر بيروت ، لبنان .

6 ـ بطرس البستاني، محيط المحيط، تحقيق محمد عثمان، المحتوى باب النون، باب الياء الجزء9، ط1، 2009، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

7 ـ جميل حمداوي ،سميوطيقا العنوان، المجلد25، العدد3، مجلة عالم الفكر، الكويت،1997.

8 ـ حميد الحميداني، نحو نظرية أدبية ونقدية جديدة (نظرية الأنساق المتعددة)، ط1، 2006 شبكة الألوكة.

9 ـ حنا نصر الحي، قاموس الأسماء العربية والمعربة وتفسير معانيها، ط 3، دار الكتب العلمية بيروت،لبنان.

10 ـ سمير الخليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، ب د ط، 1971،دار الكتاب العلمية لبنان.

11 ـ الطاهر وطار، الطعنات،2013، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر.

12ـ عبد الحق بلعابد، عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، ط 1، 1429هـ _ 2008م الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان .

13– عبد الله الغذامي "ثقافة الوهم" مقاربات حول المرأة والجسد واللغة، ط 1 ، 1998 ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء .

14 – عبد الله الغذامي وعبد النبيّ اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبيّ؟ ط 1 ، 2004 ، دار الفكردمشق .

15 – عبد الله محمد الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق العربية، ط 3 ، 2005 ، المركز الثقافي العربيّ، الدارالبيضاء .

16ـ محمد عبد المعبود مرسى: "علم الاجتماع عند تالكوتبارسونز بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي"، ط 1 ، 2001 ، جامعة القصيم، السعودية .

17ـ مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي المحقق: يوسف الشيخ محمد، ط 5، 1999، عدد الأجزاء 1. المكتبة العصريّة، الدار النموذجيّة بيروت ، صيدا .

18ـ ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ط 3 ، 2002 ، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء .

19. نادر كاظم، تمثيلات الاخر، صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، ط1، 2004، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

20. نجيب محفوظ، السكرية، ط6، 2015، دار الشروق، القاهرة، مصر.

21ـ نجيب محفوظ، اللص والكلاب، ب د ط ، 1961، مكتبة مصر.

22ـ واسيني الأعرج، مملكة الفراشة، ط1، يونيو 2013، دار الصدى للصحافة والنشر والتوزيع دبي.

الملاحق

كلمة كاتب الرواية " رجب عطا الطيّب أبو سرية "

تحية من فلسطين إلى الجزائر

شعور بالامتنان البالغ ينتابني، وأنا اكتب إليكم أيها الأخوة الأعزاء، وأنا المقيم في أرض العزة غزة في أكناف بيت المقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين، إليكم وأنتم تقيمون في وطن المليون شهيد، البلد المبارك الذي كان لنا نبراسا دائما وسندا مقيما، يشد من أزرنا.

ممنون لكم أيها الأعزاء الأستاذ العلامة الدكتور دكار أحمد والأستاذة نبيلة ديش الأستاذة حاج عبد القادر راضية، وكل الأخوة العاملين والمتعلمين في صرحكم العلمي الرصين، بل لكل من يعيش في مدينتكم الوادعة شقيقة غزة العزة، تلمسان، وما بين فلسطين والجزائر أخوة دم ودربحرية.

أسعدتموني كثيرا أيها الأخوة الأعزاء حين اخترتم روايتي "عطش البحر" لتكون موضوعا دراسيا، وذلك بعد مرور أكثر من ثلاثة عقود على كتابتها، وها انتم تعيدونها للحياة مرة أخرى، وهي التي كنت قد احتفيت من خلالها بانتفاضة شعبنا المباركة التي انطلقت عام 1987، وما زالت أصداؤها تتردد حتى هذه الأيام لتنجب انتفاضات تتوالى ولا تتوقف حتى تحرير فلسطين،كل فلسطين.

معكم لن يعود بحر غزة عطشا سيرتوي حرية، طال الزمان أم قصر، وطالما بقي أخ عربي وأخ مسلم حيا وحرا، فإن فلسطين ستعانق الحرية لا محالة، أما أنا فقد وجدت لي بيتا وأخوة هناك قريبا من حافة الوطن العربي الغربية، حيث عاش الأمير عبد القادر ويوسف بن تاشفين وهواري بومدين، أهديكم كل ما لدي من محبة وأخوة، وأتطلع لأن لا تبقى "عطش البحر"وديعتي لديكم، بل كل أعمالي، إن شاء الله.

محبة دائمةاحترام مقيم

رجب عطا الطيب أبو سرية

ملحق عن سيرة الكاتب

السيرة الذاتية للكاتب:

الاسم الأدبي رجب أبو سرية: رجب عطا الطيب؛ مقيم بفلسطين / غزة منذ 1994 وحاليا بالقاهرة / مصر؛ متقاعد كمدير في وزارة الإعلام الفلسطينية.

عضو رابطة الكتاب الأردنيين منذ عام 1983.

عضو الإتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين منذ 1989.

عضو اتحاد الكتاب الفلسطينيين منذ عام 1995.

عمل محررا ثقافيا في مجلة الهدف منذ 1991 حتى عام 1994.

وعمل رئيسا لتحرير مجلة الشبيبة الفلسطينية منذ 1990 حتى عام 1994.

أمين سر، ثم رئيس جمعية البيادر الثقافية بغزة خلال الفترة 1997-2004.

المحرر الثقافي لأسبوعية (مجلة) الدار عامي 2004/2003.

منسق عام شبكة الكتاب الفلسطينيين ورئيس تحرير موقع عام 2008.

نائب رئيس اتحاد كتاب الانترنت العرب / فرع فلسطين عام 2008.

أمير سر احتفالية القدس عاصمة الثقافة العربية 2009.

مدير تحرير مجلة الغيداء المختصة بشؤون المرأة الفلسطينية عام 2010.

صدرت له الكتب والأعمال التالية:

الروايات: صدر مجلد الأعمال الروائية عن دار ميريت بالقاهرة عام 2005.

دائرة الموت رواية فازت بالجائزة الأولى في مجال الرواية في مسابقة سعاد الصباح بالقاهرة بين الشباب العربي عام 1991. أعادت طباعتها مكتبة الأسرة بالقاهرة عام 1996.

ثم طبعت مرة ثالثة عبر دار ميريت للنشر والتوزيع بالقاهرة عام 2005، ونشرت إلكترونيا عبر دار قرطبة/ الإمارات عام 2013.

عطش البحر رواية صدرت عام 1994 عن دار الينابيع بدمشق وأعادت طباعتها دار ميريت بالقاهرة عام 2005. ونشرت إلكترونيا عبر دار قرطبة / الإمارات عام 2013.

نبؤة العرافة رواية صدرت عن دار أوغاريت برام الله عام 2003. وأعادت طباعتها دار ميريت عام 2005. ونشرت إلكترونيا عبر دار قرطبة / الإمارات 2013.

حرم الأسد صدرت عن دار النخبة بمصر عام 2018.

عرين الجسد صدرت عن دار فنون 2020.

الدونجوانة رواية قيد الإنجاز 2020.

القصص القصيرة: صدر مجلد الأعمال القصصية الكاملة عن دار البيروني بعمان عام 2013.

ليس غير الظل مجموعة قصص قصيرة صدرت عن اتحاد الكتاب الفلسطينيين بغزة عام 1996 ونشرت إلكترونيا عبر دار قرطبة / الإمارات عام 2013.

تهاويم الأرق مجموعة قصص قصيرة صدرت عن اتحاد المراكز الثقافية بغزة عام 1998 ونشرت إلكترونيا عبر دار قرطبة / الإمارات عام 2013.

نثار الروح والجسد مجموعة قصص قصيرة صدرت عن اتحاد الكتاب الفلسطينيين بغزة عام 2005. ونشرت إلكترونيا عبر دار قرطبة / الإمارات عام 2013.

خراريف مجموعة قصص قصيرة نشرت إلكترونيا.

ضمير الأنا الغالب مجموعة قصص قصيرة نشرت إلكترونيا

كليكات مشاغبة (موبايل نت) مجموعة قصص رقمية نشرت إلكترونيا

المسرحيات

مسرحية أبو عرب في خانة إليك عرضتها بغزة فرقة البيادر المسرحية وشاركت في مهرجان الفوانيس بعمان عام 1998. وفي مهرجان الربيع في سوسة / تونس عام 2006، وعرضت في هناجر الأوبرا بالقاهرة عام 2006.

مسرحية غزة ع التكة عرضتها فرقة البيادر بغزة وشاركت بمهرجان المسرح الأردني 2002.

آخ لو كانت ولد مسرحية تربوية عرضتها فرقة الجلاء المسرحية بغزة 2004

مسرحية العزل، ومسرحية السيد المدير العام، منشورتان الكترونيا .

جنون العظمة، نشرت الكترونيا عام 2015

مقهى الإبداع، نشرت الكترونيا عام 2015 وعرضت بغزة 2017 .

تاء التأنيث، مسرحية منشورة الكترونيا 2018

شعر :

حروف بيضاء / مجموعة شعرية نشرت الكترونيا عبر دار قرطبة بدولة الإمارات العربية المتحدة عام 2013

واو الدهشة / مجموعة شعرية نشرت الكترونيا عام 2015 .

أنا الفلسطيني مجموعة شعرية لم تنشر بعد

دراسات وأبحاث :

الأغنية السياسية في الوطن العربي دراسة صدرت عن دار الأهالي بدمشق عام 1989.

مقالات نقدية في الرواية العربية قيد النشر .

هذا وله ما بين 25003000 مقال صحفي والعشرات من المقابلات الإعلامية وله مقالان أسبوعيا في جريدة الأيام الفلسطينية منذ عام 1996. كما شارك بعدد من المؤتمرات الثقافية .

ملخص الرواية

رواية "عطش البحر" هي الرواية الثانية للكاتب والروائي الفلسطيني رجب عطا أبو سريّة" صدرت سنة 1994 وهي تتحدث عن الانتفاضة الفلسطينية الأولى، التي انطلقت عام 1987 وقد بيّن من خلالها الكاتب معاناة الشعب الفلسطينيّ جراء الاحتلال الإسرائيلي ، ممثلة في عائلة البطل خالد الذي يتركه والده "محمود" وهو لا يزال في بطن أمّه ليولد بعيدا عنه، ومن هنا تبدأ معاناته في مخيّم اللاجئين، حيث أبعدوا عن قريتهم الأمّ، ليعيش خالد حياة الظلم والحرمان ولا يجد أحدا ليبثّ له حزنه وقلقه وحنينه لوالده ولحريّته سوى البحر.

يعيش خالد بين أحضان أسرة مكونّة من الجدّ والأمّ، يقضيها بين ممارسة حياته العاديّة بين البيت والحقل رفقة جدّه، الذي رغم فارق السنّ بينهما إلا أنّه كان ملاذه أحيانا حين يريد أن يتذكّر القرية ووالده، وبين حربه النفسيّة حين يهرب إلى البحر ليروي أحلامه ... يكبر خالد وتكبر معه آلامه وعثراته وأوهامه أحيانا برجوع الغائب الذي طالت غيبته، يكبر فيجد نفسه مشاركا في انتفاضة على خطى أبيه، فيصبح مطاردا من الاحتلال الإسرائيلي.

وقد رسم الكاتب من خلال هذه الرواية نهاية حزينة ليؤكّد دائما أن هذا الشعب لا يزال صامدا رغم ما يحيط به من غدر وظلم، فرغم زواج خالد السعيد من سميرة إلا أنّه استشهد في صباح تلك الليلة ليترك هو الآخر ابنه في بطن أمّه، وكأنها دورة حياة بائسة لا تنتهي من الفقد والحرمان، ولكن استشهاده كان سببا في إشعال فتيل الثورة على الظالم المحتل وسببا في هيجان بحر تتلاطم أمواجه من أجل الحريّة والنصر.

الفهرس

إهداء 3

إهداء 4

مقدمة: ..... أ

المدخل 6

مفهوم الدّراسات الثقافية والنقد الثقافي 6

1- مفهوم الدراسات الثقافية: 6

2- مفهوم النقد الثقافي: 7

الوظيفة النسقيّة 10

الدلالة النسقية 10

الجملة الثقافية 10

المجاز الكلي 10

التورية الثقافية 11

النسق المضمر 11

المؤلف المزدوج 11

3- مفهوم الأنساق المضمرة 11

4- تعريف النسق لغة واصطلاحا 12

5- مفهوم المضمر: 14

6-مفهوم النسق المضمر: 14

7- التمييز بين النقد الثقافي والدراسات الثقافية: 15

8- الأنساق المضمرة في الرواية العربية: 16

الفصل الأول 17

الأنساق السياسية في رواية عطش البحر 17

1- رمزية العنوان: 18

2- النسق التاريخي: 20

3- نسق المقاومة والانتفاضة: 21

الفصل الثاني 26

الأنساق الاجتماعية في رواية "عطش البحر" 26

1- النسق الاجتماعي: 27

2- خالد ونسق الحرمان الأبوي 29
مرحلة" أفق المستحيل" 32
مرحلة ربيع الحقول 32
3- نسق القرية والقيم الاجتماعية 35
4 - نسق الأنثى 39
المرأة الأم: 39
المرأة الزوجة 40
المرأة المناضلة 41
خاتمة 43
قائمة المصادر والمراجع 46
الملاحق 50

الملخص:

تعني الدراسة بتناول الأنساق المضمرة في رواية" عطش البحر" للكاتب "رجب عطا الطيب أبو سرية"، حاولنا بواسطة آليات النقد الثقافي الكشف عن أبرز هذه الأنساق في سياقها الاجتماعي، والسياسي والتاريخي، وتوصلنا من خلال رصدنا للمضمر المناقض للمعلن إلى أن الرواية بالفعل صورت واقع المجتمع الفلسطيني المادي والروحي، وأكدت فاعلية النصوص الروائية في إبراز المسكوت عنه.

الكلمات المفتاحية : النقد الثقافي . النسق المضمر . عطش البحر

Résumée

L'étude vise à aborder les modèles implicites du roman « La soif de la mer » de l'auteur Rajab Atta Al-Tayeb Abu Sariya. Nous avons essayé, à travers les mécanismes de critique culturelle, de révéler les plus importants de ces modèles dans leur environnement social. Contexte politique et historique, et nous sommes arrivés, grâce à notre surveillance des implicites contradictoires à ce qui a été déclaré, que le roman est bien une image de la réalité de la société palestinienne, matérielle et spirituelle, et cela a confirmé l'efficacité des textes de fiction dans la mise en valeur. Ce qui est gardé sous silence.

Mots-clés : critique culturelle, style implicite, soif de mer

Abstract

The study aims to address the implicit patterns in the novel “Thirst of the Sea” by the author Rajab Atta Al-Tayeb Abu Sariya. We tried, through the mechanisms of cultural criticism, to reveal the most prominent of these patterns in their social, political and historical context, and we arrived, through our monitoring of the implicit contradictory to what was declared, that the novel is indeed a picture of the reality of society. The Palestinian material and spiritual, and it confirmed the effectiveness of fictional texts in highlighting what is kept silent about.

Keywords: Cultural criticism - implicit system - thirst of the sea